﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٦٣﴾ [غافر: 63]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

جحودُ النّاس في الإعراض عن الدَّلائل الكونيَّة والآيات البيِّنات

بعدَ أنْ بيّنَ أنّ الله تعالى خالقُ كلّ شيء سبحانه، وجاءهم بالدّلائل الكونيّة العظيمة، وأنكر عليهم الكفر بعد هذه الدّلائل وهذه النّعم الَّتي أنعم الله بها عليهم جاءت هذه الآية لتقرِّرَ أنّ مَن يكفرُ بالله بعد هذه الآيات البيّنات ما هو إلّا جاحدٌ بالبيِّناتِ لا محالةَ، فقال: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ﴾؛ أي: على هذه الهيئةِ وبهذه الصّفة صرَفَ الله تعالى الكفّارَ الجاحدين بآيات الله من الأمم المتقدّمة[1]. فالله تعالى غنيٌّ عنكم كما استغنى عن الأممِ الجاحدة من قبلِكم.

الصَّرفُ عن آياتِ الله تعالى لا يُقدِمُ عليه عاقل

ولمّا كشَفَ سياق الآية السّابقةِ عن أنّ هذا الصّرفَ أمرٌ لا يُقدِمُ عليه عاقل كان كأنّه قيل: هل وقع لأحدٍ غيرِ هؤلاء مثلُ هذا؟ فأجيب بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾؛ أي: مثلَ هذا الصَّرفِ الغريبِ البعيد عن مناهج العقلاء يُصرَفُ الصّرفَ السّيِّئَ كلُّ جاحد بآيات الله من السّابقين[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَجۡحَدُونَ﴾: (جحد) أصلٌ يدلّ على قلَّةِ الخير. والجحد: نقيض الإقرار، وجَحَد الرَّجل: إذا أنكر ما عَلَيْهِ من حقّ. والجحد: القلَّة من كلّ شَيْءٍ[3]. فالجحد والجحود هو الإنكار، وسبيلُهُ: نفيُ ما في القلب إثباتُه، وإثباتُ ما في القلب نفيُه، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النّمل: 14]، وقال: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١﴾ [الأعراف: 51][4].

(1) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 4/ 567.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 17/ 104.
(3) ابن دريد، جمهرة اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيدة، المُحكم والمحيط الأعظم: (جحد).
(4) الراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفّاظ: (جحد).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الجحودُ بنِعَمِ اللهِ وصرفُ القلوبِ عن الحقّ

الآيةُ بيانٌ لحال الَّذين وقفوا من نِعَمِ الله تعالى موقفَ الجحود والكفران. والمعنى: مثلَ ذلك الصَّرفِ العجيب من الحقّ إلى الباطل ينصرفُ وينقلبُ كلُّ أولئك الَّذين انتكَسَتْ عقولهم، والَّذين كانوا بآياتنا الدّالَّة على وحدانيّتنا وقدرتنا يجحدون ويكفرون[1]. ويؤفك هنا بمعنى: يُصرَفُ عن الشّيء، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾ [الأحقاف: 22]؛ أي: لتصرفَنا عن عبادتها.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ فصلِ الآية عن سابقتها:

التَّعجيبُ وتفسيرُ انصراف النّاس عن عبادة الله

جملةُ ﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ﴾ استئنافيَّةٌ بمنزلةِ التّعليل لمضمون الجملة الَّتي قبلها، وهو التّعجيب من انصرافهم عن عبادة ربِّهمُ الَّذي خلقهم، وخلق كلّ شيءٍ في الوجود؛ فإنَّ في تعليل ذلك بيانًا لسبب التّعجيب[2]. أو هو استئنافٌ بيانيٌّ جوابًا عن سؤالٍ مقدَّرٍ، كأنّه قيل: هل وقَعَ لأحدٍ غيرِ هؤلاء مثلُ هذا؟ فأجيب بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، فبينَ الجملتين شبهُ كمال الاتِّصال.

بلاغةُ التّشبيه بالكاف في ﴿كَذَٰلِكَ﴾:

المبالغةُ في جحود آيات الله ونتائجُ الإعراض عنها

(الكافُ) نائبُ مفعولٍ مطلق؛ أي: يؤفكون إفكًا مثلَ ذلك الإفك[3]. ويكون التّشبيهُ مبالغةً في أنّ إفكهم بلَغَ في كُنْهِ الإفكِ النّهايةَ، بحيث لو أراد المُقرِّبُ أن يقرّبَهُ للسّامعين بشبيهٍ له لَما وجَدَ شبيهًا له أوضحَ منه وأجلى في ماهيّته، فلا يسعُهُ إلّا أنْ يشبِّهَهُ بنفسه[4]. فقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ يعني: أنّ كلَّ مَنْ

(1) طنطاوي، الوسيط: 1/ 3715.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 188.
(3) الخرّاط، المُجتبى: 3/ 1109.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 188.

جحد بآيات الله ولم يتأمَّلْها، ولم يكنْ فيه همّةٌ لطلب الحقِّ وخوف العاقبة أُفِكَ كما أُفِكوا[1].

غرضُ التّعبير باسم الإشارة البعيد:

تحقيرُ المكذِّبين بآيات الله

في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ﴾ عبّر باسم الإشارة؛ والأصل في أسماء الإشارة أن يُشارَ بها إلى الأشياء المُشاهدة المحسوسة، واستعمل هُنا في غير ما يدركه الحسُّ مجازًا؛ لتنزيله منزلةَ المحسوس[2]. وغرضُ التّعبير باسم الإشارة البعيدِ (ذلك) التَّحقيرُ؛ إذ لا أحقرَ مِن أفعال هؤلاء وهم يكذّبون الحقَّ اليقينيَّ الَّذي لا شكَّ فيه ولا مِراءَ.

دلالةُ المضارَعةِ في ﴿يُؤْفَكُ﴾ وبنائِهِ للمفعول:

تجهيلُ المكذِّبين بالحقِّ صورةٌ مِن صوَرِ تحقيرهم

في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ﴾ جاء الفعل ﴿يُؤْفَكُ﴾ مبنيًّا لِما لم يُسمّ فاعله؛ تجهيلًا بأولئك الَّذين كذّبوا بآيات الله، وبكفرهم على الرَّغم ممّا يجدونه من أدلّة الخلق وعظمته الدّالَّة على الخالق سبحانه وقدرته. والتّعبيرُ عنه بصيغة المضارع دون الماضي للدّلالة على الحاضر، ولاستحضار الحالة[3].

غرضُ التّعبير بالاسم الموصول وصلته:

تعليلُ إفكِ المكذِّبين بآيات الله

جيءَ في جانب المأفوكين في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ﴾ بالموصول؛ لإرادة التّهوين من شأنهم، وتحقيرِ ما هم فيه من الغِواية والانصراف عن الحقّ. فاستمرارُهم على الجحود بآيات الله مِن دونِ تأمُّلٍ ولا تدبُّرٍ في معانيها ودلائلها يَطبَعُ نفوسَهم على الانصراف عن العلم بوجوب الوحدانيّة له تعالى؛ لأنّ العقول الَّتي تتخلّق بالإنكار والمكابرة قبل التّأمّل في المعلومات تُصرَفُ عن انكشاف الحقائقِ العلميّة، فوجدنا كثيرًا من العلماء الَّذين اختلطت عليهم

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 529.
(2) الرّضي، شرح الرّضي على الكافية: 2/ 30، 33.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 188.

الحقائقُ؛ فينصرفون عنها، ولا يميِّزون بين الصّحيح والفاسد؛ إذ أصبح الإنكار عندهم عادةً وتخلُّقًا. وصلةُ الموصول من قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ بيانٌ صريحٌ لعلَّةِ إفكِهم[1].

بلاغةُ الإظهار في مَقامِ الإضمار:

حالُهم في الإفكِ مثارُ تعجُّبٍ

في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ يجوز أن يكون المقصود المخاطبين بقوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾، ويكون الموصول وصلته إظهارًا في مقام الإضمار، والمعنى: (كذلك تؤفكون)؛ أي: مثلَ إفكِكم تؤفكون، وفائدةُ الإظهار التّعجيبُ من حالهم، وتسليطُ الضّوء على أفعالهم، باعتبارها ممّا لا يُعقل، وليس له دليلٌ أو مُسوِّغٌ.

تعميمُ حالةِ الإفكِ على الجاحدين في كلِّ زمان

ويجوزُ أن يكون المراد بـ﴿ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ كلَّ مَن جحَدَ بآيات الله من مشركي العرب ومن غيرهم من المشركين والمكذِّبين، فيشملُ عموم المعرضين، فيصيرُ التَّعليلُ المومَأُ إليه بالصِّلةِ تعليلًا تعريضيًّا؛ وتكونُ عبارةُ ﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ كالمَثَلِ الجاري على طريقة الاستعارة التّمثيليّة؛ لأنّه إذا كان الإفكُ شأنَ الَّذين يجحدون بآيات الله كلِّهم فقد شملَ ذلك هؤلاء بحكم المُماثلة[2].

نكتةُ دخولِ فعل الكون:

تأصيلُ الجحودِ بآيات الله على أنّها صفةٌ مُتجذِّرةٌ في المكابرين

ذُكِرَ فعلُ الكون في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ﴾ الآيةَ؛ للدّلالة على أنَّ الجحودَ بآيات الله شأنُهم وهِجّيراهم[3]، فهي صفةٌ متأصّلة فيهم، وأنَّ إيمانهم لا يُرتجى؛ لِما فيهم من الكبر، قال تعالى: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ [غافر: 56].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 188 - 189.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 188.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 188.

معنى الباء في قوله: ﴿بِـَٔايَـٰتِ﴾:

الباء في قوله تعالى: ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ للإلصاق، وتشيرُ إلى مُلازَمةِ الكفر لهذه الآيات، لِما دلّ عليه السّياق من إصرارِ هؤلاء على التّكذيب بآيات الله البيّنات، فيكون تكذيبُهم بها دائمًا مصاحبًا للآيات كلّما ذُكرت، واستدلَّ بها الرّسل والدُّعاة من بعدهم، وتكذيبُهم ملتصِقٌ بها؛ إذ يدلُّ ذلك على قصدِهم في إنكارها دونَ تحكيم عقولهم، ومراجعةِ فكرهم وما تدلّ عليه الحقائق والبراهين، لكنّهم جعلوا إنكارهم الآياتِ ملتصقًا بها، وما ذاك إلّا كبرٌ منهم.

التّكذيبُ الدّائمُ والمستمرُّ لآيات الله صفةٌ ملازمة للجاحدين

نكتةُ جمعِ الآيات وإضافتِها إلى لفظ الجلالة:

أفادَ جمع الآيات في قوله: ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ التَّكثيرَ والتّعظيم، وإضافتُها إلى لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾ أحاطَها بالعظمةِ كلِّها؛ لأنّها الآياتُ الّتي تدلُّ على عظيم شأن الله في خلقه وتقديره.

شـأنُ آيـات الـلـه الـتّـكـثـيرُ والتّعظيم

نكتةُ تقديم شبهِ الجملة على المُسنَدِ الفعليّ:

تقديمُ شبه الجملة ﴿بِـَٔايَـٰتِ﴾ في قوله: ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ على الفعل ﴿يَجۡحَدُونَ﴾ للاختصاص، فهم يُكذّبون بالآيات البيِّنات كلَّما عاينوها أو رَأوها لا بشيء غيرِها. وفي إضافةِ الآيات إلى ﴿ٱللَّهِ﴾ وتقديمه على الفعل ﴿يَجۡحَدُونَ﴾ كذلك دلالةٌ على اختصاص آياتِ الله بهذا الجحود والإفك والتّكذيب؛ هذه الآياتِ العظيمة الّتي حَوَت البَراهينَ، وتضمَّنت الحُجَجَ العظيمة، فهي مختصَّةٌ مقصودةٌ عندهم في التَّكذيبِ والكفرِ بها، وهم يؤمنون بما دونَها من آراءِ النّاس وأقوالهم وحُجَجِهم.

اختصاصُ آياتِ الله العظيمةِ بالجحودِ والتّكذيب

دلالةُ التّعبيرِ بـ﴿يَجۡحَدُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

في قوله: ﴿بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ دلَّ الفعل المضارع على استحضارِ الحالة، فضلًا عن الدَّلالة على التَّجدُّد، ممّا يعكِسُ حالةَ المراوغة تجاهَ الحقّ، والإنكارِ عنادًا ومكابرةً، فجحودُ المُنكرين لآيات الله متجدِّدٌ على مَرِّ العصور والقرون؛ يتجدَّدُ بآرائِه وأفكاره، وأساليبِه في الإنكار والمراوغة.

استمراريّةُ الجحود وتجدُّدُ الإنكار

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»